سر الفيلا الغامضة

محمود سالم

سر الفيلا الغامضة

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

سر الفيلا الغامضة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٧ ٢٨٧٤ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٢.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
مغامرةٌ سرية جدًّا!	١١
فجأة؛ كان زميله يتحدث العربية!	١٥
هجرة العقول!	٢١
العميل يداعب «أحمد»!	٢٧
معركة غير متوقعة!	٣٣

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

مغامرةٌ سرية جدًّا!

بينما كان «أحمد» يجلس وحده في غرفته منهمكًا في قراءة مجموعة من الأبحاث التي أرسلها له رقم «صفر». فجأة، وقف وأخذ يروح ويجيء في الغرفة. كان يبدو عليه الغضب، حتى إنه وقف للحظة أمام باب الغرفة، ثم ضربه بقبضته، وكأنه يُفرغ كلَّ غضبه في هذه الضربة.

ظل صامتًا برهةً ثم همس محدِّثًا نفسه: من غير المعقول أن يحدث هذا! كيف نترك هذه الثروة العظيمة في أيدي هؤلاء الذين يمثلون أعداء لبلدنا؟!

ثم عاد من جديد إلى مكتبه الصغير واستغرق في قراءة مجموعة الأبحاث ... فجأة رنَّ جرس التليفون. لكنه ظل مستغرقًا في القراءة، واستمر الرنين متواصلًا، حتى مدَّ يدَه وضغط زرًّا في جهاز التليفون فانقطع الرنين في نفس الوقت الذي جاء فيه صوتُ «إلهام» تقول متسائلة: أين أنت؟

ردَّ في هدوء: مشغول قليلًا في مهمة!

قالت «إلهام»: إذن، أنت تُخفي عن الشياطين بعضَ المهام؟!

تنفَّس بعمق ثم قال: بالعكس لا، إنني أستعدُّ لعملية، سوف تعرفونها في اللقاء القادم!

جاء صوت «إلهام» يقول: هل هي عملية سرية؟!

أجاب «أحمد»: ليس هناك سرٌّ بين الشياطين.

قالت «إلهام»: إذن، لماذا أنت وحدك الذي يعرف المهمة؟!

تنهَّد «أحمد»، فقالت «إلهام»: يبدو أنك غاضب من شيء ما!

أجاب «أحمد»: نعم، غاضب جدًّا!

سألَته «إلهام»: هل أستطيع أن أعرف السبب؟!

ردَّ «أحمد»: لا أظن الآن؛ فالزعيم هو الذي سوف يُخبركم بالتفاصيل!

ثم أضاف بسرعة: إنها مجرد دراسة أقرؤها، أظن أنها سوف تُفيدنا في مغامرتنا القادمة!

ابتسمَت وهي تقول بصوت هادئ: إذن هناك مغامرة جديدة في الطريق!

ابتسم وهو يردُّ: أعتقد أن هذه مهمة الشياطين!

مرَّت لحظة قبل أن تقول «إلهام»: يبدو أنك في حاجة إلى الوقت والهدوء بعيدًا عن ضجة الشياطين!

أجاب «أحمد»: هذا صحيح!

قالت: إذن، إلى اللقاء، بعد أن تفرغَ من قراءتك!

ثم اختفى صوتُها. نظر «أحمد» حوله حائرًا، وقال في نفسه: ينبغي أن أبحث عن مكان لا يعرفه الشياطين حتى أستطيعَ الانتهاء من قراءة هذه الأبحاث!

ثم استغرق في التفكير لحظة، لكن استغراقه لم يستمر؛ فقد جاء صوت رقم «صفر» ليقول: ينبغي أن تذهب إلى الغرفة السرية؛ فهناك لن يُزعجَك أحد!

ابتسم «أحمد»؛ فقد جاءت كلماتُ رقم «صفر» لتُنهيَ حيرتَه، لكن صوت رقم «صفر» لم يتوقف ... فقد أضاف: لاحِظْ أن المهمة عاجلةٌ وهامة، وخطيرة في نفس الوقت.

ثم أضاف الزعيم: إن موعد الاجتماع القادم سوف يكون في الساعة الثامنة مساء في القاعة الكبرى.

وأنهى كلماتِه قائلًا: هيَّا، تحرَّك الآن إلى الغرفة السرية.

وبسرعة جمع «أحمد» الأبحاث التي أمامه، وكانت عبارة عن مجموعة أوراق داخل دوسيه كبير، ثم خرج مباشرة من الغرفة قائلًا: إن الغرفة السرية يعرفها الشياطين أيضًا، لكن عندما تكون مضاءة، فإن أحدًا لا يقترب منها؛ فالجميع يعرفون أنها غرفة خاصة بعمليات محددة، وهي تقع في طرف المقر السري، والطريق إليها يحتاج إلى دراية خاصة بها، فهو طريق يبدو وكأنه أحد الألغاز، فهناك ممرات متعددة تتقاطع مع بعضها، حتى يبدوَ لمن يَصِل إليها أنه تائهٌ لا محالة. عندما دخل «أحمد» الغرفة السرية، أضاء نورها، الذي يلمع خلف زجاج بابها ...

والغرفة السرية ليست كبيرة، وهي تضمُّ مكتبًا صغيرًا، وأريكة مريحة، ومقعدًا واحدًا. وهي تُطلُّ على حديقة صغيرة، يُفتَح عليها بابٌ سريٌّ. فتح «أحمد» الباب، فوقعَت عيناه على مجموعة من الزهور النادرة التي تضمُّها الحديقة. ملأ صدره بالهواء، ثم أدَّى بعضَ

تمرينات التنشيط وعاد إلى المكتب، ثم جلس بسرعة واستمر في قراءة الأبحاث. في نفس الوقت كانت «إلهام» قد نقلت إلى الشياطين مضمونَ محادثتها التليفونية مع «أحمد». وعندما انتهَت من كلامها قال «عثمان»: الدلائل كلُّها تشير إلى أنها مهمة خطيرة للغاية!

أضاف «بو عمير»: إذن، علينا أن نستعدَّ من الآن حتى نكون جاهزين للانطلاق!

وتساءلَت «زبيدة»: ما هي طبيعة هذه المغامرة؟

ابتسم «قيس» وهو يُجيب: لا أظن أننا نستطيع التكهن بطبيعتها؛ فما دامت المهمة سرية لهذه الدرجة، فلا بد أنها جديدة علينا!

قال «خالد»: ومع ذلك، نستطيع أن نخمِّنَ نوعيتَها، ونحن إذا ألقَينا نظرة على منطقتنا نستطيع أن نضعَ أيديَنا على أبرز مشاكلنا، وهي بالتالي أساس مهامنا التي نقوم بها!

لم ينطق أحد منهم، ونظروا إليه في انتظار أن يستمرَّ في كلامه، ويشرح وجهة نظره.

مرَّت دقيقة قبل أن يقول: إن أول مشاكلنا في المنطقة أننا نملك ثروة ضخمة موزَّعة في شتى البلاد؛ فإذا كان البترول هو أهمَّ هذه الثروات، فإنه يتركز في منطقة «الخليج»، و«ليبيا»، و«الجزائر»!

توقَّف «خالد» لحظةً عن الكلام، فابتسمَت «إلهام»، فأسرع يقول: أعرف أن هذا ليس جديدًا، لكن فقط أنني أعدِّد أهمَّ مشاكلنا!

ثم أضاف: هناك أيضًا موقعنا الجغرافي؛ فنحن نقع في منطقة متوسطة تربط الشرق بالغرب، ولدينا في هذه القضية «قناة السويس» كأهمِّ معبر مائي، وعندنا «البحر الأحمر» أيضًا.

قال «مصباح» بسرعة: واسمح لي أن أشاركَكَ وأُضيف أن لدينا ثروات معدنية هائلة، بجوار أننا سوق استهلاكي كبير، تحرص كلُّ الدول على التعامل معه.

علَّق «خالد»: هذا صحيح.

صمت لحظة ثم أضاف: إننا نستطيع أن نضع أيديَنا على طبيعة المغامرة إذن!

مرَّت لحظات من الصمت قطعَها «قيس» قائلًا: أعتقد أنكم لم تضعوا أيديَكم على أهم قضية ونحن دائمًا لا نعطيها ما تستحقه من اهتمام مع أنها قضية في منتهى الأهمية!

سكت لحظة فتركزَت أنظار الشياطين عليه، وبدَا عليهم الاهتمام الشديد، وقبل أن ينطق، سارع «باسم» بالقول: كلُّنا نعرف أن الدكتور «فاروق الباز» يُعدُّ واحدًا من علماء العرب المشهورين والمهمِّين عالميًّا!

ظهرَت الدهشة على وجوه بقية الشياطين إلا «قيس» الذي ابتسم، فنظر له «باسم» قائلًا: هذا ما تقصده، أليس كذلك؟!

قال «قيس» وقد غطَّت وجهَه ابتسامةٌ عريضة: نعم، هذا ما قصدته بالضبط، وإن كان الدكتور «فاروق الباز» عالم الفضاء المصري، نموذجًا للعلماء العرب لما أعنيه!

قال «باسم»: وهذا ما قصدته أنا أيضًا.

أضاف «قيس»: لهذا لوحظ في الآونة الأخيرة اغتيال عدد كبير من علماء الذرة العرب في الخارج!

ظهر الاهتمامُ على وجوه الشياطين، وأسرعَت «إلهام» تقول: لقد تعرَّضنا في إحدى مغامراتنا لهذه القضية!

ردَّ «قيس»: نعم، ولكنها قضية لا تنتهي أبدًا؛ فنحن في عصر يقف فيه العلماء في المقدمة. في نفس الوقت، فإن دول العالم المتقدم تريد أن تستحوذ على هذه العبقريات النادرة!

قال «باسم»: أريد أن أُضيفَ إلى أننا في منطقتنا العربية لا نهتمُّ كثيرًا بالبحث العلمي، والدول التي تهتم به لا تملك تكاليف أبحاثه؛ لأنها تكاليف باهظة جدًّا.

تساءلَت «ريما»: وما الجديد في هذه القضية؟!

أجاب «قيس»: إنها قضية جديدة دائمًا؛ لأنها تتعلق بمستقبل المنطقة، وما دامت تتعلق بالمستقبل فسوف تظل جديدة دائمًا.

قال «عثمان»: إذن، لقد أضفنا قضية هامة لقضايانا!

قال «خالد»: نحن لم نحصر قضايانا كلَّها، فعندنا قضية الأراضي الزراعية مثلًا، و«السودان» يمتلك أرضًا عظيمة للزراعة، وكذلك «العراق»، لكن هل استثمرنا ذلك كلَّه؟

قالت «إلهام»: لا طبعًا، بدليل أننا ما زلنا نستورد معظم الحبوب من الغرب.

قال «قيس»: إذن، هناك قضايا كثيرة في منطقتنا العربية، بجوار قضايانا الأفريقية، وهي كثيرة هي الأخرى!

قالت «ريما»: إذن، هل تظنون أن المغامرة الجديدة سوف تكون حول واحدة من هذه القضايا!

أجاب «قيس»: بالتأكيد.

فجأة، قطع حوارَهم صوتُ رقم «صفر» يقول: لقد اقتربتم فعلًا من موضوع القضية، وطبيعة المغامرة أيضًا. وقد أسعدَتني مناقشاتُكم ووعيُكم بقضايا بلادكم!

صمت لحظة ثم أضاف: إن اجتماع الساعة الثامنة مساء يحدِّد لكم بالضبط طبيعة المغامرة!

فجأة؛ كان زميله يتحدث العربية!

عندما انتهى رقم «صفر» من كلماته، صمت الشياطين، وأصبح موعد الساعة الثامنة هو نقطة الانتظار.

نظر «فهد» في ساعته ثم قال: ما زال الوقت مبكرًا، حتى نَصِل إلى الساعة الثامنة!

ثم وقف وهو يقول: أظن أننا في حاجة إلى تجهيز أنفسنا!

ووقف بقيةُ الشياطين، وأخذوا طريقَهم كلٌّ إلى غرفته، لكن في الغرفة السرية كان «أحمد» يقرأ الورقة الأخيرة في مجموعة الأبحاث. تمطَّى ثم قال لنفسه: متى الانطلاق إذن؟

فجأة جاء صوت رقم «صفر» يقول: الآن إذا استطعت.

ثم بعد لحظة أضاف: في غرفتك سوف تعرف بقية التفاصيل؛ فأنت فقط لم تعرف بعدُ تفاصيلَ القضية الخطيرة التي تتعرَّض لها بلادنا!

صمتَ مرة أخرى ثم قال: عندما تَصِل إلى غرفتك، اضغط زرًّا في جهاز التلفزيون، وسوف تشاهد فيلمًا وصل المركز منذ قليل، لتعرف طبيعةَ ما أنت مُقدمٌ عليه!

أخذ «أحمد» يجمع الأوراق بسرعة، فجاء صوت رقم «صفر» من جديد يقول بصوت هادئ: لا بأس، تستطيع أن تشاهد الفيلم في الغرفة السرية، ثم تخرج منها إلى مكان انتظار السيارات لتبدأ رحلتك؛ فالمغامرة تحتاج إلى فرد واحد فقط عند بدايتها، ثم يلحق بك الباقون بعد ذلك!

ترك «أحمد» الأوراق، ثم ضغط زرًّا في جهاز التلفزيون الموجود في الغرفة السرية. في نفس الوقت، كانت تخرج من الجدار الأيمن صينية صغيرة عليها بعضُ الساندويتشات ... وكوب مياه غازية ... ابتسم «أحمد» بينما كان صوت رقم «صفر» يقول: أريد أن أختصر لك الوقت؛ فنحن الآن لا نعرف ما سوف يحدث في الدقيقة القادمة!

أخذ «أحمد» الصينية، ثم عاد إلى الكرسي الوحيد الموجود في الغرفة، وألقى نفسَه فيه واسترخى عليه ... فجأة؛ ظهرَت التفاصيل على شاشة التلفزيون. كان الفيلم يصور فيلًّا صغيرة قديمة، تتوسط حديقة واسعة. في نفس الوقت، كان يظهر عدد من الرجال يقفون متناثرين حول الفيلا. وكان واضحًا أنهم يقومون بحراستها ...

الفيلَّا مكوَّنة من طابق واحد، والنوافذ الزجاجية لا تكشف شيئًا بداخلها؛ فهناك ستائر قاتمة اللون معلَّقة خلف الزجاج في واجهة الفيلَّا، ولا يظهر بابها الرئيسي، لكن في جانبها الأيسر يبدو شيءٌ أشبه بالباب، لكنه ليس مفتوحًا. الكاميرا تقترب من الباب الصغير، هناك زرٌّ على ارتفاع متوسط. فكَّر «أحمد» يبدو أنه السبيل الوحيد لفتح الباب، أو ربما يكون الجرس، تقترب الكاميرا أكثر، فلا يظهر شيء سوى تشويش يُخفي ما يمكن أن تلتقطَه الكاميرا. قال في نفسه: لا بد أن هناك أجهزة تشويش تعمل عند مسافة محددة؛ فإذا كانت الكاميرا بعيدة فإنها تكشف التفاصيل الخارجية، وإذا اقتربت أكثر فإن الأجهزة تعمل وتشوِّش على عدسة الكاميرا.

فكَّر «أحمد» قليلًا ثم قال: إنها مغامرة تحتاج إلى فرد واحد فعلًا! ثم تساءل: ما هي طبيعة هذه المغامرة؟! إن الأبحاث التي قرأتها تقف عند حالة واحدة، هي «سرقة العقول العربية».

انتهى التشويش على الشاشة، وظهرَت الفيلا مرة أخرى، لكن في جانب آخر، ولم يكن في الجانب الآخر ما يلفت النظر، كان عبارة عن جدار فقط. لكن فجأة لفت نظرَ «أحمد» شيء، لقد ظهرَ رأسُ رجل من بين الزرع، ثم ظهرَت كتفاه، ثم نصفه الأعلى. وأخذ يظهر شيئًا فشيئًا حتى اكتملَت هيئتُه، وأخذ طريقَه إلى باب الحديقة، ثم استقل سيارة كانت تقف هناك واختفى بها.

فكر «أحمد» قليلًا: ماذا يعني هذا؟! هل يعني أن الرجل خرج من بابٍ سريٍّ في الفيلَّا، أو أن هناك ممرًّا سريًّا تحت الأرض، هو الطريق الحقيقي إلى داخلها؟! انتظر لحظة ثم همس: يبدو أن هذا هو الاحتمال الأرجح! قفز في خاطره سؤالٌ بينما كان يقطم لقمة من الساندويتش الثاني، كان السؤال: تُرى ماذا يدور داخل هذه الفيلا؟!

انتظر لحظة ثم قال لنفسه: إن الزعيم لم يُخبرني بأية تفاصيل! شَرِب نصف كوب المياه الغازية دفعة واحدة، وكان استغراقه في التفكير يدفعه إلى الأكل دون أن يشعر. فجأة، ظهر على الشاشة شابٌّ في سن الثلاثين، خرج من نفس المكان الذي ظهر منه الرجل الأول وبنفس الطريقة. كان الشاب يُخفي عينَيه خلف نظارة شمس سوداء، وكانت ملامحه

تُشير إلى أنه ليس أوروبيًّا. كان يلبس قميصًا نصف كم، وبنطلونًا جينزًا، ويبدو نشيطًا في حركته. اقتربَت منه سيارة صغيرة، زجاجها غامق اللون، حتى إنه يُخفي مَن بداخلها.

قفز الشاب إلى داخل السيارة، والتي غادرت المكان بسرعة ... قال «أحمد» في نفسه: أين تقع هذه الفيلَّا؟!

في أيِّ بلد؟! في «أوروبا» أو «أمريكا»! لكنه لم يتوقف طويلًا عند السؤال؛ فالإجابة سوف يعرفها من الزعيم. انتهى من تناول الساندويتشات، فرفع باقي الزجاجة وشَرِبها مرة واحدة أيضًا. عاد التشويش على الفيلم من جديد، فقال «أحمد» لنفسه: من المؤكد أن أجهزة التشويش موجودة، وأنها تعمل بشكل دائم!

مرة أخرى ظهر جانبٌ جديد من الفيلَّا، ولم يكن يختلف عن الجانب الآخر، ثم ظهر سطح الفيلا، لم يكن هناك شيءٌ جديد سوى هوائي ضخم، ويرتفع إلى مسافة عالية.

قال «أحمد» لنفسه: لعله من مهمات العمل ... فجأة انتهى الفيلم، وجاءت عبارة: تم التصوير أمس، ثم توقيع «توماس كريج».

فكر «أحمد» لحظة، ثم قال لنفسه: يبقى أن أعرف إلى أين سوف أتجه، ثم انطلق فورًا!

جاءه صوت الزعيم يقول: سوف تكون وجهتك إلى «بلجيكا». وهناك سوف تعرف المزيد من التفاصيل من السيد «كريج».

مرَّت لحظة قبل أن يُضيفَ الزعيم: أتمنى لك التوفيق، وفي انتظار طلب المجموعة!

في دقائق كان «أحمد» يأخذ طريقَه إلى خارج الغرفة السرية، لكنه لم يذهب إلى غرفته أولًا؛ فقد فكَّر في أن يذهب إلى مكتبة الخرائط في البداية، وهناك وقف أمام فهرس الخرائط. ثم مرَّ بإصبعه على عدد من الأرقام حتى استقر عند رقم «١٨» ثم ذهب إلى تابلوه في جانب الغرفة، ثم ضغط زرَّ رقم «١٨» فظهرَت على الشاشة الكبيرة في مكتبة الخرائط خريطة «بلجيكا».

حدَّد «أحمد» في ذهنه موقعها بالضبط؛ ففي الشرق تقع «ألمانيا»، وفي الغرب مصيف «دوفر»، وفي الشمال «هولندا»، وفي الجنوب «فرنسا». قال في نفسه: أين سوف تكون المغامرة؟ وعلى حدود أية دولة من هذه الدول؟!

انتظر لحظة ثم ابتسم قائلًا: إنني أتعجل المغامرة، وينبغي أن أنتظر حتى أَصِل إلى هناك حيث «توماس كريج»!

ضغط زرًّا في التابلوه، فاختفَت الخريطة، وبسرعة كان يأخذ طريقَه إلى غرفته الخاصة.

جهَّز حقيبتَه السرية، ثم اتجه مباشرة إلى حيث مكان انتظار السيارات. كان يفكر: هل يتحدث إلى الشياطين قبل أن يبدأ الرحلة؟ وأجاب على تساؤله: رقم «صفر»: سوف يخبرهم في اجتماع الساعة الثامنة!

عندما وصل إلى مكان السيارات، قفز في سيارة الشياطين وانطلق. كان الممر السري طويلًا حتى الوصول إلى بوابة المقر الصخرية. ولم يكن يسير بسرعة عالية، كان يُعطي لنفسه فرصةَ التفكير قبل أن يغادر المقر السري، سأل نفسه: إنها مغامرة غامضة؛ فحتى الأبحاث التي قرأتها، لا تعطي سوى استعراض عام. أما المغامرة ذاتها فإنني لا أعرف عنها شيئًا. تُرى ماذا يقصد الزعيم من هذا الغموض؟!

ظهرَت البوابة الصخرية عند نهاية الممر السري. قال في نفسه: لعلها المرة الأولى التي أخرج فيها في مغامرة وحدي! لمع ضوءٌ متقطع في تابلوه السيارة يشير إلى الوقت، وكانت الساعة الخامسة مساء.

قال في نفسه: لعل الشياطين ينتظرون عودتي الآن من الغرفة السرية. وعندما انفتحت البوابة الضخمة التي تتحرك تحت جبل ضخم، ضغط قدم البنزين، فانطلقَت السيارة بسرعة وتجاوزَت البوابة، وامتدَّ الخلاء أمامه. قال في نفسه: ينبغي أن أكون في المطار في السابعة تمامًا؛ فالطائرة سوف تغادر المطار في السابعة والنصف. في الوقت الذي كان فيه «أحمد» يقطع الطريق إلى المطار، كان الشياطين كلٌّ في غرفته، لكن محادثة تليفونية كانت تدور بين «عثمان» و«قيس». كان «عثمان» يقول: لقد مرَّ وقت طويل، و«أحمد» لا يزال في الغرفة السرية!

ردَّ «قيس»: لقد غادر «أحمد» المقر السري منذ قليل؛ فالغرفة السرية مظلمة منذ أكثر من ساعة!

جاء صوت «عثمان» مملوءًا بالدهشة، وقال: هذه أول مرة يحدث فيها هذا الغموض حول مغامرة ما!

قال «قيس»: إنها رؤية الزعيم في النهاية؛ فربما يحتاج الأمر إلى هذا الغموض، ومع ذلك، فسوف نعرف كلَّ شيء عندما يعقد اجتماع الساعة الثامنة!

ردَّ «عثمان» متسائلًا: لا بأس، مع ذلك فهل تظن أنها مغامرة فرد واحد؟!

أجاب «قيس»: مَن يدري؟ ربما تكون هذه الرحلة مجردَ مقدمة للمغامرة، ربما لم يستطع عملاءُ الزعيم الكشفَ عن تفاصيل أكثر، تُعطينا الفرصة كي نتحرك!

قال «عثمان»: هذا أمر جائز.

ثم صمت لحظة وأضاف: لا بأس، إلى اللقاء في الاجتماع!

عندما وضع كلٌّ منهما السماعة، كان «أحمد» يقطع الطريق في سرعة رهيبة، كان عليه أن يقطع الطريقَ الطويل إلى المطار في ساعتين فقط، كما حدَّث نفسه، لكن سرعة السيارة لم تُوقِف عقلَه عن التفكير. كان يقول لنفسه: إن هذه المغامرة تحتاج للذكاء أكثر منها للصراع وربما صراع أفكار. فهذه الفيلا الغامضة التي ظهرَت في الفيلم تضع علاماتِ استفهامٍ كثيرة أمامي، وعندما يفشل عملاء الزعيم في اختراق الفيلا، ودخولها وتصويرها، فإن ذلك يعني أنني أمام مغامرة غريبة ومثيرة في نفس الوقت!

ثم ابتسم لنفسه في مرآة السيارة وهمس: إنها مغامرة جديدة حقًّا!

كان الطريق الأسفلتي الممتد بلا نهاية، يبدو كثعبان ضخم وسط رمال الصحراء. ابتسم «أحمد» وهمس: إنه ثعبان بلا رأس ولا ذيل!

ظهرَت بعضُ الطيور في الفضاء أمامه، فقال في نفسه: لا بد أن هناك شيئًا؛ فهذه الطيور لا تظهر بلا سبب! ضغط قدم البنزين أكثر فوصلت السرعة إلى نهايتها، ضغط زرًّا فثبتت السرعة، ورفع قدمه من فوق قدم البنزين. اقترب من مكان الطيور، فرأى مساحة لامعة وسط الرمال، قال في نفسه: لا بد أنها عين ماء انفجرت في هذا المكان، لو كان عندي بعضُ الوقت لنزلت إليها!

تجاوز المكان في سرعة رهيبة، ولم تمضِ نصفُ ساعة حتى ظهرَت مباني المطار. ابتسم لنفسه وقال: هذه هي البداية! عندما ضغط فرامل السيارة ووقف في مكان انتظار السيارات خارج المطار، كانت الساعة تُعلن السابعة إلا ربعًا. ابتسم وقال: لقد وصلت في الوقت المناسب.

أسرع بمغادرة السيارة، ولم ينسَ أن يمرَّ على مكتبة المطار ليشتريَ ما يقرؤه. وقف يمرُّ بعينَيه على عشرات الكتب المعروضة أمامه «الذرة»، «الاتحاد السوفيتي الجديد»، «تشرنوبل» ... «البترول ومصادره»، «عمر البترول»، «كائنات جديدة»، «فجر العلم»، «علم وعلماء»، كتب كثيرة كانت أمامه. اختار كتابَين، واحد عن «عمر البترول»، والآخر عن «العلم والعلماء».

قال في نفسه: إنهما يدوران في نفس القضية.

دفع ثمنهما، ثم أخذ طريقَه إلى داخل المطار، كان صوت مذيعة المطار الداخلية تُعلن عن قرب طيران الخطوط الجوية «البلجيكية». أسرع إلى باب الدخول، ومرَّ من الحاجز، وهو يقدِّم جواز السفر. قرأ الضابط بياناته، ثم نظر إليه مبتسمًا وسلَّمه الجواز. لم يفهم «أحمد» معنى هذه الابتسامة، لكنه لم يشغل نفسه بها؛ فقد أخذ طريقَه إلى أرض المطار،

حيث تربض الطائرة. وعندما أصبح داخلها، بحث عن رقم مقعده، وكان رقم «١٨». ابتسم فها هو الرقم يتكرر مرتين في يوم واحد. وفي المرة الأولى كان في مكتبة الخرائط. قال لنفسه: مَن يدري، قد يكون العميل رقم «١٨» هو الآخر في أوروبا؟! ألقى نفسه في المقعد، وكان يقع في مقدمة الدرجة الأولى. أما المقعد الآخر، فقد كان خاليًا. ابتسم وهو يقول: يبدو أنني لن أمارسَ القاعدة التي يمارسها الشياطين. رفيق السفر، هو أحسن مَن يقدم لك المعلومات! لم تكَد تتردد الجملة في خاطره حتى ظهر شابٌّ نحيل، يبدو على ملامحه الذكاء ... يلبس نظارة طبية ذات أسلاك رفيعة. ثم ألقى نفسه في المقعد الخالي. ابتسم «أحمد» مرة أخرى، قال لنفسه: ها قد وصل الرفيق!

فجأة، سَمِع صوتَ مذيعة الطائرة تطلب ربطَ الأحزمة، وتُعطي بعضَ التعليمات. فجأةً مرة أخرى، كان رفيق السفر يسأله، وباللغة العربية، وكانت فعلًا مفاجأة.

هجرة العقول!

كان الشابُّ النحيل يبدو مضطربًا، وقد سأل «أحمد»: هل أنت مصري؟

ابتسم «أحمد» ابتسامةً عريضة، وإن كان قد شعر بخيبة الأمل؛ فما دام يتكلم بالعربية، فإن هذا يعني أنه لن يقدم إليه جديدًا. أجاب: نعم، وأنت يبدو أنك من قطر شقيق!

قال الشاب: نعم، إنني من «سوريا».

رحَّب به «أحمد»، ثم سأله: ما اسمك؟

قال الشاب: «مروان»!

رحب به «أحمد» مرة أخرى، فقال «مروان»: إن هذه أول مرة أسافر فيها خارج بلادي.

سأله «أحمد»: لماذا؟

أجاب «مروان»: أبحث عن مجال أمارس فيه تخصصي!

كانت الإجابة مثيرة بالنسبة إلى «أحمد»؛ فما دام يبحث عن تخصص، فلا بد أنه تخصصٌ هامٌّ.

سأله في هدوء حتى لا يلفتَ نظرَه: أي تخصص، وبلادنا تحتاج إلى كل التخصصات؟!

تنهَّد «مروان» وهو يقول: إن بلادنا تحتاج فعلًا، لكنها تخصصات مكلفة، وتحتاج إلى دول ثرية حتى توفر الإمكانات، إنني أعرف قضيتي تمامًا، لكن، لم يكن أمامي سوى هذا التصرف!

صمتَ لحظة، بينما كانت الطائرة قد بدأَت حركتها. ثم قال: إنني متخصص في «الذرَّة»!

لمعَت عينَا «أحمد» وفكَّر بسرعة: هذا إذن واحد من العقول العربية العبقرية والطاقات اللامعة التي تتسرَّب من بلادنا. وسأل: هل هناك هدف محدد سوف تذهب إليه؟!

أجاب «مروان»: نعم، هناك زميل «سوري» أيضًا، يعمل هناك!

سأله «أحمد»: أين؟

أجاب «مروان»: في «بروكسل». لقد سافر منذ سنوات للدراسة، لكنه لم يَعُد. وكانت بيننا خطابات، وكان يطلب مني اللحاق به، لكني في الحقيقة كنت مترددًا، و...

– و... ماذا؟

قال «مروان»: لقد كنت أتمنى أن أجد مجالي في بلدي، وكنت مؤمنًا أنني أستطيع أن أُفيدَها. فنحن في حاجة إلى مثل هذه التخصصات، خصوصًا وأنني متخصص في مجال الزراعة!

كانت الطائرة قد أخذَت طريقَها إلى الفضاء، لكن «أحمد» و«مروان» لم يكونَا يشعران بشيء؛ فقد استغرقهما الحديث؛ «مروان» لأنه يشعر بالخوف من العالم المجهول الذي يذهب إليه. و«أحمد» الذي تشغله «سرقة العقول العربية»، فهو على يقين من أن الدول الغنية الأجنبية تبحث عن مثل هذه العقول، فتُغريها أو تُهددها، لتستفيد منها. ففي الوقت الذي تحتاج فيه الدول الفقيرة إلى طاقات أبنائها، يكون هؤلاء الأبناء أنفسهم في خدمة الغير. يطورون الزراعة والصناعة وغيرها، ولا تستفيد بلادهم شيئًا؛ لأن الدول الغنية هي التي تفوز بكل شيء في النهاية.

قطع «مروان» لحظاتِ الصمت قائلًا: إن الأبحاث في مجال الزراعة، تحتاج إلى أموال طائلة، أعرف أن بلادنا لا تملكها، مع ذلك، نحن نستطيع أن نستفيد من أبحاثنا في تجربتها في دول غنية، ثم نعود إلى بلادنا بكل ما توصلنا إليه لتُفيدَها.

قال «أحمد» وفي صوته رنةُ أسًى: قد يكون هذا صحيحًا، لكن هذه الدول لن تسمح لك بالعودة مرة أخرى!

هزَّ «مروان» رأسه ثم قال: أعرف هذه الحقيقة، لكني مع ذلك سوف أحاول!

صمتَ لحظة ثم قال: هل هذه أول مرة تسافر فيها خارج «مصر»؟!

ابتسم «أحمد» وقال: لا، أنا دائمًا على سفر؛ لأن طبيعة عملي تحتاج ذلك!

سأله «مروان»: وما هي طبيعة عملك؟!

ابتسم «أحمد» وقال: أعمل في مجال السياحة، وأسافر دائمًا للاتفاق على أفواج سياحية لزيارة بلادنا!

ثم ابتسم قائلًا: إنني لم أقدِّم نفسي لك بعد، اسمي «كريم»!

ابتسم «مروان» وقال: سعيد بك يا عزيزي «كريم». فسوف تنفعني وتُرشدني في الوصول إلى ما أريد، فإنني لا أعرف هذا العالم الغريب!

قال «أحمد»: وأنا يُسعدني أن أكون في خدمتك!

ثم أسرع يُضيف: هل ستكون في «بروكسل» ذاتها!

أجاب «مروان»: لا أعرف، لكن صديقي سوف ينتظرني في مطار «بروكسل». بعدها سوف يكون هو المسئول عني!

ثم ابتسم وأضاف: إنه هو الذي تحمل نفقات سفري!

برغم أن «أحمد» قد ابتسم، إلا أن شيئًا حزينًا كان يتردد في أعماقه. قال في نفسه: يبدو أن هناك منظمة ما هي التي تقوم بذلك كله … كان «مروان» قد استغرق في صمته هو الآخر، وكأن الاثنين يجمعهما همٌّ واحد. مرَّ الوقت، وكلٌّ منهما في صمته. مدَّ «أحمد» يدَه ثم أمسك بالكتاب الذي اشتراه عن «العلم والعلماء»، وبدأ يقرأ فيه. نظر له «مروان» مبتسمًا وهو يقول: هل أستطيع أن أستعير الكتاب الآخر؟

ردَّ «أحمد» بابتسامة، وهو يقدِّم له الكتاب. علَت الدهشةُ وجهَ «مروان» وهو يقول بينما يده تُمسك بالكتاب: هل لك اهتمامات بهذه العلوم؟!

أجاب «أحمد»: نعم، إنها تستهويني كثيرًا!

قال «مروان»: لكنها علومٌ صعبة، وتحتاج إلى متخصصين!

ابتسم «أحمد» وهو يردُّ: إنني أحاول فقط، فلا بأس من الإلمام ببعض المعلومات عمَّا يدور حولنا!

قال «مروان» سعيدًا: إنني معجب بك؛ فمثل هذه العلوم من الصعب أن يفكر فيها مَن عمله السياحة!

ثم أضاف بسرعة: إننا متفقان حتى في هواياتنا؛ فأنا أعشق القراءة في شتى الاتجاهات!

استغرق «أحمد» في كتابه، واستغرق «مروان» في كتابه، لكن «أحمد» كانت تتردَّد في خاطره عشرات الاحتمالات، كان أهمها احتمال أن يكون «مروان» بداية الخيط إلى مغامرته. لكنه فجأة قال في نفسه: إنني أحدِّد المغامرة قبل أن أعرف طبيعتها.

توقَّف لحظة، ثم قال لنفسه مرة أخرى: لكن الأبحاث التي قدَّمها لي رقم «صفر»، تكاد تحدِّد طبيعة المهمة التي خرجت من أجلها …

ألقى نظرة سريعة على «مروان» فرآه مستغرقًا تمامًا في القراءة. بل إنه أخرج قلمًا وبدأ يضع بعضَ الخطوط تحت اصطلاحات محددة. فكَّر «أحمد»: لعل هذه الكلمات التي

يحدِّدها تكون مفتاحًا لشيء ما دون أن يدري! ومنذ هذه اللحظة قرر أن يضع «مروان» تحت الملاحظة؛ ولذلك فقد كانت عيناه تجريان على الكلمات التي أمامه في سرعة، ثم يُلقي نظرة جانبية على «مروان».

فجأة قال «مروان»: أرجو أن تعذرني؛ فقد استخدمتُ القلم في تحديد بعض المفاهيم!

ابتسم «أحمد» وهو يقول: أرجو أن تفعل ذلك من أجلي، فقد أستفيد مما تحدده!

ضحك «مروان» وهو يقول: هذه مسألة تحتاج إلى متخصص!

قال «أحمد»: لعلي ألجأ إليك إذا استعصَت على فهمي!

ضحك «مروان» واستغرق من جديد في قراءة كتابه، أما «أحمد» فقد ألقى نظرة من نافذة الطائرة، يرقب السحب التي تُشبه جبالًا من القطن. تردَّد في خاطره سؤال: لماذا لم يسأله حتى الآن عن اسم زميله الذي سوف يلقاه في بروكسل؟! ثم فكر هل يسأله الآن؟! لكنه أجَّل تنفيذَ هذه الفكرة؛ فقد قرر أن يقدم على السؤال عند سلَّم الطائرة، أو في صالة المطار عندما ينزلان هناك.

عاد إلى كتابه يقرأ فيه من جديد، فجأةً تذكَّر تلك الإحصائية التي احتفظ بها في حقيبته السرية، مدَّ يده وأخذ الحقيبة التي كان يضعها أمامه، ثم فتحها، كان عقله يفكر بينما هو يأخذ الإحصائية التي كتبها في ورقة صغيرة. سأل نفسه: سوف أعرضها على «مروان»؛ لأرى ردَّ فعله عليها.

قال مخاطبًا «مروان»: اسمح لي أن أقطع استرسالك في القراءة!

نظر إليه «مروان» مباشرة، فقال «أحمد»: معي إحصائية حول هجرة العلماء العرب إلى الخارج!

ظهر الاهتمام على وجه «مروان» وقال: يهمُّني أن أعرفها!

أضاف «أحمد»: إنها صادرة عن إحدى منظمات الأمم المتحدة.

ثم بسط الورقة أمامه، وبدأ يقرأ: إن عدد العلماء العرب الذين هاجروا وصل إلى ٧٥٠٠ عالم في «العلوم الطبيعية» وحدها!

ظهرَت الدهشة على وجه «مروان» وقال: إنه رقم كبير!

استمر «أحمد» في القراءة: هاجر أيضًا ٢٤ ألف طبيب، و١٧ ألف مهندس، وكلُّهم من «مصر» و«العراق» و«لبنان» و«سوريا» و«فلسطين» و«الأردن».

قال «مروان» في دهشة: إن ذلك يعني استنزاف كفاءاتنا العلمية!

ردَّ «أحمد»: نعم، إنها مسألة مثيرة!

ثم أضاف: هل تدري أنه حتى عام ١٩٨٣ كان قد هاجر إلى «أمريكا» وحدها ١٠٠ ألف من هذه الكفاءات العالية التي أنفقت بلادنا عليها الكثير!

انتظر لحظة ثم أضاف: سوف أقرأ لك نِسَبَ بعضِ هذه التخصصات: من الأطباء ٦٢٪ من مجموع الأطباء، و٦٠٪ من المهندسين، و٥٨٪ من علماء الطبيعة، و٣٧٪ من الزراعيِّين!

ثم نظر إلى «مروان» مبتسمًا، وقال: وسوف ترتفع النسبة طبعًا، فها أنت تنضم إليهم.

تنهَّد «مروان» وقال في أَسًى: لا توجد طريقة أخرى!

انتهزها «أحمد» فرصة وسأل: ما اسم الزميل الذي سوف تلقاه في «بروكسل»؟!

انتظر «مروان» لحظة، ثم قال: «شداد»!

في تلك اللحظة جاء صوت مذيعة الطائرة، تُعلن أنهم سوف يهبطون في مطار «بروكسل» خلال ربع ساعة ... نظر الاثنان إلى بعضهما، وقال «مروان»: ها أنا ذا أبدأ رحلتي إلى المجهول!

ابتسم «أحمد» وقال: أرجو ألَّا تطولَ الرحلة!

العميل يداعب «أحمد»!

عندما هبطَت الطائرة في مطار بروكسل، أخذ الركابُ طريقَهم إلى باب الخروج ... وعن طريق الممر المعلَّق اتجهوا إلى صالة المطار الداخلية ... كان «مروان» يتبع «أحمد» وكأنه تابعه. وعندما أصبحَا في الصالة، وقفَا معًا. كان «مروان» لا يعرف ماذا يفعل. أما «أحمد» فقد كانت عيناه تمسحان المكان بحثًا عمن سوف يقترب منهما. فجأة ظهر أحد الرجال وقدَّم نفسه: أُدعَى «جلاكس» مبعوث من طرف السيد «شداد»!

ابتسم «أحمد»، بينما تردَّد «مروان»، وقال «أحمد»: أهلًا «جلاكس» ها هو الصديق «مروان».

شدَّ «جلاكس» على يد «مروان» الذي نظر إلى «أحمد»، ثم ابتسم «أحمد»، وقال: أرجو أن نلتقيَ مرة أخرى عزيزي «مروان»، وإن كنت لا أعرف كيف يمكن الاتصال بك!

نظر «مروان» إلى «جلاكس»، وسأل: ألَا يوجد رقم تليفون يمكن أن يتصل عن طريقه صديقي!

ابتسم «جلاكس» ومدَّ يدَه في جيب الجاكت، وأخرج كارتًا قدَّمه لـ «أحمد» قائلًا: تستطيع أن تتصل به على هذا الرقم!

شدَّ «مروان» على يد «أحمد» وهو يقول: لقد سعدتُ بصحبتك يا عزيزي «كريم»، وأرجو أن نلتقيَ قريبًا!

ثم صَحِب «جلاكس» وانصرفَا، أما «أحمد» فقد ظل يراقبهما حتى اختفيَا. ثم قال في نفسه: خسارة أن نفقد هذه الطاقات العظيمة!

ثم أخذ طريقَه إلى خارج الصالة. كانت سيارة بيضاء صغيرة تقف على جانب من الطريق. أخرج «أحمد» من حقيبته جهازًا صغيرًا ثم ضغط على زرٍّ فيه فسمع صوت

موتور السيارة يدور، عرف أنها سيارة الشياطين. أخذ طريقَه إليها ... فجأةً تردَّد من خلال راديو السيارة صوتٌ يقول: أهلًا بك في «بروكسل»!

ابتسم «أحمد»؛ فقد عرَف أنه صوتُ عميل رقم «صفر». قال العميل: سوف تنزل في فندق «أوستريا» وهو يقع داخل المدينة، غرفة رقم «٨»، وسوف تدلُّك البوصلة عليه، بعد ساعة سوف أنتظرك في مطعم «فيلا» القريب من الفندق، والذي لا يحتاج إلى مواصلات. سوف أُمسك في يدي كتابًا وأجلس في آخر المطعم، إلى اللقاء!

نظر «أحمد» إلى البوصلة الموجودة في تابلوه السيارة، وتبع اتجاه السهم. عندما دخل المدينة كان الليل قد هبط، وغرقَت الشوارع في الضوء، تغيَّر اتجاهُ السهم، فغيَّر اتجاهَ السيارة، ولم يمضِ وقتٌ طويل، حتى ظهر مبنًى قديمٌ من ثلاثة طوابق، وفوقه لافتة مضاءة مكتوب عليها: «أوستريا» اتجه إليه، ودخل بالسيارة إلى مكان الانتظار.

ثم غادرها إلى داخل الفندق. اتجه إلى استعلامات الفندق وتسلَّم مفتاح غرفته واتجه إليها مباشرة. كانت في الطابق الثاني، بينما كان وهو يصعد السلالم داهمه شعورٌ بأن هناك مَن يراقبه، أبطأ من خطواته، فلم يسمع شيئًا. قال في نفسه: لعله الشعور ببداية المغامرة، خصوصًا بعد لقاء «جلاكس». صَعِد بسرعة ثم اتجه إلى الغرفة.

وقف أمام رقم «٧» ثم تجاوزه إلى رقم «٨» فلم يجده. وجد الرقم «٧» أيضًا. ابتسم وقال في نفسه: لعلها البداية فعلًا! فكر لحظة، ثم دفع المفتاح في الباب فدخل. أدار المفتاح فانفتحَت الغرفة. قال في نفسه: لعل الرقم قد اهتز؛ فلو أنها عملية مقصودة، فما كانوا يقعون في هذا الخطأ، لأن رقم «٨» لا يمكن أن يسبق رقم «٧» أبدًا. خطَا في الداخل ثم أغلق الباب في هدوء.

وقف يرقب الغرفة التي كانت منظمةً ونظيفة تمامًا، وقعَت عيناه على الدولاب، كان يبدو أنه ليس مغلقًا جيدًا. قال في نفسه: من الضروري أن يكون أحدٌ قد شغل الغرفة قبلي، مع ذلك خطَا إلى الدولاب وفتحه. فجأة، وجد بدلة سماوية اللون، ظهرَت الدهشة على وجهه، لَمن تكون هذه البدلة! تردَّدَت هذه الجملة في خاطره. فكر قليلًا: هل يكون العميل هو الذي تركها! فتح ضلفة أخرى في الدولاب، فوجد قميصًا أبيض، وربطة عنق زرقاء اللون، ابتسم «أحمد» وقال: إنه طقم جيد ... عاد إلى ضلفة الدولاب التي بها البدلة من جديد. مدَّ يدَه يتحسَّسُها، ثم وضع يدَه في جيبها الصغير الخارجي. فأحسَّ بورقة تحت إصبعه، جذب الورقة. كانت ورقة صغيرة مطوية بعناية، فتحها، ثم قرأ، وغَرِق في الضحك. لقد كانت كما فكَّر تمامًا. كان عميل رقم «صفر» قد كتب على الورقة: «لعلك تحتاجها في سهرة أدعوك إليها.»

ضحك مرة أخرى وقال لنفسه: إنها مفاجأة فعلًا! ولذلك فهي تحتاج إلى حمام دافئ بسرعة. قفز إلى الحمام وأخذ دشًّا دافئًا. استعاد به نشاطه، ثم أسرع إلى البدلة يلبسها. فظهر أنيقًا تمامًا. ابتسم وقال لنفسه: إنها تكفي ليتعرَّف على العميل ... نظر في ساعة يده وهمس لنفسه: هناك ربع ساعة فقط على الموعد. تجوَّلَت عيناه في الغرفة من جديد، وخطَا إلى النافذة الوحيدة في الغرفة فتأكد أنها مغلقة جيدًا. ثم اتجه إلى باب البلكونة، فوجده مغلقًا أيضًا. قال لنفسه: رائع؛ كل شيء كما ينبغي!

ألقى نظرةً أخيرة على نفسه في المرآة، ثم أخذ طريقَه إلى الخارج مباشرة. عندما خطَا أول خطوة خارج الفندق، كانت هناك نسمةُ بردٍ خفيفة جعلَته أكثرَ نشاطًا. قال لنفسه: إنه جو المغامرات! كان يمشي على مهلٍ في طريقه إلى مطعم «فيلا». ولا يدري «أحمد» بالضبط لماذا يشعر بالسعادة، وبالرغبة في المرح. قال هامسًا: أين أعزائي الشياطين؟! إنني أحتاجهم الليلة في هذا الجو المنعش.

ظهرَت لافتة مطعم «فيلا»، كان عبارة عن بناء قديم، وكأنه متحفٌ للآثار. وقد أعجبه نموذج البناء، وتساءل بينه وبين نفسه: هل يعرف السيد «كريج» أنني أحب هذه الأبنية القديمة، حتى يختار لي فندقًا قديمًا، ومطعمًا قديمًا أيضًا. فتح الحارس الباب العتيق، فدخل، ووقف يرقب المكان ... وألقى بنظرة عليه عند نهاية صالة المطعم. كان هناك شخص يجلس وحده، لكنه لم يكن يُمسك كتابًا، تردَّد قليلًا. وتجوَّل بعينَيه في بقية المكان، لكنه أيضًا لم يرَ مَن يُمسك كتابًا. فكر: هل يجلس إلى أيٍّ منضدة. لكنه لم ينفذ هذه الفكرة. نظر في ساعة يده، وكانت تُشير إلى الموعد تمامًا. اقترب منه أحد العاملين في المطعم، وانحنى في أدب وسأل: هل يبحث سيدي عن أحد؟

لم يُجِب «أحمد» مباشرة؛ فقد كان يفكر: هل يذكر اسم «توماس كريج»؛ فقد يكون معروفًا ما دام قد حدَّد هذا المطعم! لكنه أبعد هذه الفكرة عن ذهنه أيضًا، وقال: موعد مع صديق!

قال العامل: لعله في الطريق.

ثم ابتسم وأضاف: هل تأذن لي باختيار منضدة لك؟

نظر له «أحمد» لحظة، ثم قال: لا بأس، أريدها في نهاية المطعم.

تقدَّم العامل يسبقه إلى حيث توجد منضدة خالية، ثم انحنى في أدب قائلًا: هل تصلح هذه يا سيدي؟

شكره «أحمد»، فقال: هل تطلب شيئًا حتى يَصِل الصديق؟

أجاب «أحمد» بسرعة: أُفضِّل أن أنتظرَه قليلًا.

انحنى العامل وانصرف. كان «أحمد» يشعر بالحرج، فماذا يمكن أن يحدث. هل تعرَّض السيد «كريج» لمأزق، أو أن شيئًا جديدًا قد ظهر فجأة في المغامرة؟! ساوره الشكُّ. لكن فجأة سَمِع مَن يقول: «توماس كريج».

نظر ناحية الصوت، فرأى الرجل الجالس وحده يبتسم. شعر بالحيرة، ماذا يفعل؟! وهل يكون هذا الرجل قد اكتشف شيئًا؟! هل يكون أحد أفراد المنظمة، ووقع «كريج» في يدها؟! فجأة؛ وقف الرجل. كان وسيمًا جدًّا، يقترب عمرُه من الخمسين، مبتسمَ الوجه. اقترب من «أحمد» وقال ضاحكًا: «توماس كريج».

ظل «أحمد» حائرًا، فضحك الرجل مرة أخرى، وقال: أنا «توماس كريج»، وهذه هي البدلة التي تركتُها لك في الدولاب!

وقف «أحمد» وهو يحاول أن يبتسم وإن كان الشك لا يزال يتردَّد في أعماقه، إلا أن «كريج» ضحك هذه المرة بعنف وهو يقول: أعرف أنك متردد.

ثم أخرج من جيبه كتابًا متوسط الحجم، وهو يقول: هذا هو الدليل!

ثم ضحك وهو يُضيف: لقد أردتُ أن أداعبَك، عندما ظهرتَ بهذا المظهر الأنيق، فأخفيتُ الكتاب منذ دخولك المطعم!

ابتسم «أحمد»، لكن «كريج» كان يعرف أنه لا يزال يشك، فقال: هل شاهدت الفيلم؟

تأكد «أحمد» لحظتَها أنه «توماس كريج» فعلًا، فلا أحدَ يعرف قصة الفيلم سواه، و«كريج» ورقم «صفر». مدَّ يدَه وشدَّ على يد «كريج» قائلًا: معذرة، إن التجربة علَّمتني أن أكون حذرًا!

ضحك «كريج» وهو يقول: هذه حقيقة؛ ففي هذا العالم المزدحم المخيف ينبغي أن يتأكد الإنسان من كل شيء حوله!

ثم دعاه إلى منضدته، وعندما جلس أشار إلى الجرسون، ثم حدَّد الأطعمة التي سوف يتناولانها. وعندما اختفى الجرسون، قال «كريج» مباشرة: حتى لا نضيعَ وقتًا، لقد اكتشفنا هذه الفيلا الغامضة، وفشلَت كلُّ المحاولات التي قمنا بها لكشف ما بداخلها. لكننا مؤخرًا استطعنا أن نسجل اسمًا، يبدو أنه اسم عربي.

صمت «كريج» وظهر الاهتمام على وجه «أحمد» حتى إن «كريج» ابتسم ابتسامةً عريضة وهو يقول: هل ستقول إنك تعرفه!

تجمَّدَت نظرةُ «أحمد»، فقال «كريج»: ماذا هناك!

قال «أحمد» بنفس الجمود: لا شيء. فقط لا تخبرني الآن.

ظهرَت الدهشة على وجه «كريج»، وتساءل: لماذا؟!

تنفَّس «أحمد» بعمق في نفس اللحظة التي وصل فيها الطعام. فصمت الاثنان. وضع الجرسون أطباقًا كثيرة أمامهما، حتى إن «أحمد» ابتسم، وقال: هل هي آخر مرة سوف نأكل فيها؟!

استغرق «كريج» في الضحك وابتسم الجرسون، وهو يقول: يبدو أن السيد «كريج» يريد أن يحتفل بك!

أخفى «أحمد» دهشته؛ فالجرسون يعرف «كريج» أيضًا. قال «كريج» ضاحكًا: إنني لا أفعل ذلك كثيرًا، لكني فقط أعرف أن رحلتك كانت طويلة، وتحتاج لطعام كثير.

انصرف الجرسون، فأضاف «كريج»: وأيضًا حتى تستعدَّ لمغامرتك الغامضة!

قال «أحمد» مبتسمًا: إن ذلك كرم زائد يا سيد «كريج»!

ضحك «كريج» وهو يقول: حتى أضمن دعوة مماثلة منك!

ثم وضع لـ «أحمد» قطعًا صغيرة من اللحم المشوي وهو يقول: هذا لفتح الشهية!

ثم نظر إليه لحظة، فنظر إليه «أحمد». عندئذٍ سأل «كريج»: والآن ما الاسم الذي طلبتَ ألَّا أذكرَه لك؟!

انتظر «أحمد» لحظة، ثم قال: «شداد»!

ظهرَت الدهشة على وجه «كريج»! ثم فجأة غَرِق في الضحك.

معركة غير متوقعة!

سأل «كريج»: إنه هو ... كيف عرفت؟!

تنفس «أحمد» بعمق، فقال «كريج» مبتسمًا: لا بأس، دَعْنا من هذا الآن، وأكمِلْ عشاءك؛ فسوف أدعوك إلى سهرة طيبة، نستطيع خلالها أن نُكملَ حديثنا.

ثم صمت لحظة، وأضاف: لكن صدِّقني إنها مفاجأة غير متوقعة بالنسبة لي.

فقال «أحمد»: لقد كنت أنتظر الوصول إلى هذا الاسم وتأكيده بعد أن سمعته في الطائرة!

ابتسم «كريج» وهو يقول: أرجو ألَّا تضيعَ مني متعة سماع تفاصيل الحكاية؛ فهذا يعني أنك وضعت يدك على مفتاح المغامرة!

ابتسم «أحمد» وهو يضع قطعة صغيرة من اللحم في فمه. وبعد أن انتهى من مضغها، قال: لقد كانت مفاجأة لي أنا الآخر!

ثم صمتَا الاثنان لفترة من الزمن، واستغرق كلٌّ منهما خلالها في طعامه. غير أن «أحمد» كان يفكر: لقد توقعت هذا، وهو شيء غريب. إن إحساسي أخذني إلى حقيقة المغامرة. توقَّف لحظة ثم قال لنفسه من جديد: مَن يدري، لعل هناك شيئًا آخر!

انتهى الطعام وقال «كريج»: ما رأيك في سهرة فنية؟

ابتسم «أحمد» وقال: لا بأس.

خرجَا من المطعم إلى سيارة «كريج»، وعندما انطلقَت بهما قال العميل: الآن، أتمنَّى أن أسمع تفاصيل حكاية الطائرة!

ابتسم «أحمد» لحظة، ثم أخذ يحكي له لقاءَه بـ «مروان»، والحديث الذي دار بينهما ... وكيف أنه توقَّع أن يكون «شداد» هو الهدف. قال «كريج»: إنك ذكي بما فيه الكفاية، ويبدو أن حواسك يقظة إلى هذه الدرجة التي تتوقع فيها أشياء تقترب من الحقيقة!

ثم أضاف: مع ذلك فما زال الغموض يحيط بهذه الفيلا الغريبة!

قال «أحمد»: أعتقد أنها مسألة ضرورية!

ثم فجأة قال: يبدو أن هناك مَن يراقبنا ويسير خلفنا!

ظهرَت الدهشة على وجه «كريج» وقال: ما الذي جعلك تظن ذلك؟!

أجاب «أحمد» مبتسمًا: إنه الرادار الداخلي، أو قوة الحدس كما تقول!

نظر «كريج» في مرآة السيارة، ثم قال: إن السيارات التي تأتي خلفنا تسير بشكل عادي.

ابتسم «أحمد» وقال: هذه مسألة طبيعية، لكني لاحظت زاوية الإضاءة في المرآة الجانبية، فهي مستمرة معنا في كل اتجاه!

قال «كريج»: ملاحظة ذكية، وإن كان من الممكن أن تكون عادية؛ فربما تكون السيارة التي خلفنا تأخذ نفس الطريق!

مرَّت لحظة قبل أن يقول «أحمد»: ربما!

ظهرَت أمامهما واجهةٌ مضاءة باللون الأحمر مكتوب عليها: ملهى «بالميرا». نظر «كريج» إلى «أحمد» وابتسم قائلًا: أريد فقط أن أُنعشكَ قليلًا قبل أن تغرق في دوامة المغامرة!

ابتسم «أحمد» وقال شاردًا: قد لا تصدق يا سيد «كريج» أن أكثر ما يُنعشني ويشحذ تفكيري وقواي، المغامرة!

هزَّ «كريج» رأسه وهو يقول: شيء بديع!

ثم أضاف: من الطبيعي أن يكون شابٌّ مثلك له هذه الرؤية، فأنت ما زلتَ في أول الطريق!

ابتسم «أحمد» وهو يقول: أراك أكثر شبابًا يا سيد «كريج»!

ضحك «كريج» ضحكةً عريضة وهو يغادر السيارة قائلًا: هيَّا بنا، وأشكرك لهذه التحية!

غادرَا السيارة، وأخذَا طريقهما إلى ملهى «بالميرا». كانت واجهة الملهى الحمراء تضيء ... وتنطفئ، فتنعكس الإضاءة على الشارع، فتبعث حالة من النشاط لمن يراها.

عند الباب انحنى الحارس وهو يقول: مرحبًا يا سيد «كريج»!

ردَّ «كريج» بابتسامة، وقال «أحمد»: السيد «كريج» مشهور في كل الأماكن!

مال كريج ناحية «أحمد» وهو يقول: طبيعة عملنا تحتاج إلى هذه العلاقات المتسعة، وإلا فمن أين تحصل على المعلومات؟!

كانَا قد قطعَا الممرَّ الطويل إلى داخل الملهى، حيث كان الضجيج يغطِّي المكان. وعندما دخلَا الصالة، كان المنظر مثيرًا. كان كلُّ مَن في الصالة يرقصون على إيقاعات سريعة صاخبة ...

ابتسم «أحمد» ونظر إلى «كريج» الذي هزَّ رأسَه مبتسمًا.

اقترب أحد الجرسونات وهو يرسم ابتسامة واسعة على وجهه واقترب من «كريج» وهو ينحني أمامه. وضربَه «كريج» ضربةً رقيقة على كتفه، كأنها تحية، فاعتدل الجرسون. أشار «كريج» إلى منضدة بعيدة نوعًا ...

فلم يكن الكلام يُفيد وسط هذه الضجة. تقدمهما الجرسون، حيث جلسَا في منطقة مظلمة في الصالة. انحنى «كريج» وهو يقول لـ «أحمد»: هذه منطقة جيدة، فمن هنا تستطيع أن تراقب الملهى كلَّه.

فجأة؛ ظهر الاهتمام على وجه «أحمد». لفت ذلك نظر «كريج» فسأل هامسًا: ماذا هناك؟!

مرَّت لحظة قبل أن يقول «أحمد»: السيد «جلاكس»!

تغيَّرَت ملامح «كريج» وظهر عليه الاهتمام هو الآخر، وسأل: مَن هو السيد «جلاكس»؟!

ثم أجاب هو نفسه بسرعة: تقصد الشخص الذي انتظر العزيز «مروان»؟!

قال «أحمد»: نعم، إنه هو!

ألقى «كريج» نظرةً فاحصة، وشرد قليلًا ثم قال: هل تظن أنه كان يتابعنا؟!

أجاب «أحمد»: مَن يدري؟ لعله هو، ولعل آخرين كانوا يتبعونَنا ثم أبلغوه!

نظر «كريج» إلى «أحمد» في إعجاب وهمس: إنك رائع التفكير!

ثم تساءل بسرعة: هل هي مصادفة، أو أنها مسألة مقصودة؟!

لم يُجِب «أحمد» مباشرة؛ فقد مرَّت لحظةٌ كان يفكر فيها، ثم قال: الموقف يحتمل الحالتَين، وإن كنت أرجح أنها مسألة مقصودة!

ثم أضاف بعد لحظة: دَعْنا نكشف الأمر!

ظهرَت الدهشة على وجه «كريج» وهو يتساءَل: ماذا تعني؟!

ردَّ «أحمد» بسرعة: سوف ترى.

ثم أضاف: سوف أنصرف الآن، وابقَ أنت هنا، وسوف أعود بعد قليل!

ظهرَت الدهشة على وجه «كريج» وكاد ينطق بكلمة، إلا أن «أحمد» كان قد انصرف فعلًا. أخذ طريقه إلى الخارج، واتجه مباشرة إلى حيث تقف سيارة العميل. أخرج الجهاز

الخاص بالسيارات، ثم ضغط زرًّا فيه، فدار محرك السيارة، اتجه إليها وركبها، وانطلق ثم نظر في مرآة السيارة، فرأى سيارة خلفه. قال في نفسه: هل هي سيارة عادية، أو أنها كانت تتبعهم؟! وعند أول دخول إلى اليمين دخل بالسيارة في سرعة عالية، ثم فجأة داس الفرامل، فتوقفت السيارة، وما هي إلا لحظة، حتى كانت السيارة الأخرى تصطدم به في عنف. اهتز بشدة، لكنه تأكد الآن أن السيارة تتبع «جلاكس» ومَن يعمل معهم. تهشَّمَت مقدمةُ السيارة الأخرى. نزل في هدوء واتجه إلى رجلَين كانَا قد نزلَا من السيارة. ونظر في مؤخرة سيارته، ولم تكن قد أُصيبَت بأذى. قال في نفسه إنها سيارة مجهزة تمامًا! ثم نظر إلى الرجلين، وقال: أظن أنكما أخطأتما.

ما كاد ينطق بجملته حتى كان أحدهما قد وجَّه إليه ضربة قوية في نفس الوقت الذي قفز الآخر عليه، إلا أن «أحمد» كان يتوقع ذلك وتفادى الضربة، فطاشَت في الهواء، ثم في نفس الوقت ضرب الآخر ضربة قوية، جعلَته يئنُّ، ويسقط على الأرض، وقبل أن يستعيدَ الأولُ توازنَه وجَّه إليه ضربة مستقيمة فأحدث به إصابة مباشرة. إلا أن الرجل كان قويًّا، فتلقَّى الضربة العنيفة دون أن يهتزَّ، ووجَّه يسارًا سريعة إلى «أحمد» الذي تراجع، فلم تُصبْه بأذًى كبيرٍ. دار «أحمد» حول نفسه، ثم وجَّه ضربة سريعة إلى الرجل، ثم أعقبها بعدة ضربات متتالية، جعلَت الرجل لا يعرف ماذا يفعل. وقبل أن يُفيقَ من سرعة الضربات، طار «أحمد» في الهواء، ثم ضربه بشدة ضربتَين متواليتَين، فدار الرجل حول نفسه، ثم اصطدم بسيارته، وسقط على الأرض. كان الآخر يتحامل على نفسه، ويكاد يقف، إلا أن «أحمد» كان قد قفز إليه، ثم ضربه بقوة وهو يوجِّهه إلى سيارته، فاندفع إليها صارخًا ثم سقط هو الآخر على الأرض. في هدوء نظر إليهما «أحمد» ثم نظَّم ملابسه وأخذ طريقه إلى سيارته. انطلق بها بسرعة في طريقه إلى ملهى «بالميرا». وعندما وصل إليه غادر السيارة بسرعة. عندما أصبحت الصالة أمامه، ألقى نظرَه إلى حيث يجلس «كريج» الذي رفع يده. ألقى «أحمد» نظرة أخرى بحثًا عن «جلاكس»، فوجده يجلس في الاتجاه المقابل. ركَّز نظرَه عليه، فوجد وجهَه يبدو مشدوهًا، وابتسم «أحمد» وأخذ طريقَه إلى حيث يجلس «كريج»، وعندما انضمَّ إليه همس «كريج»: ماذا حدث؟

قال «أحمد»: أعتقد أننا يجب أن نغادر هذا المكان الآن.

تساءل «كريج»: لماذا؟!

أجاب «أحمد»: إننا مستهدفان!

شرد «كريج» لحظة ثم قال: أعتقد أننا ينبغي أن نظلَّ هنا؛ فالخروج الآن سوف يجعلنا نتعرض لمخاطر لا داعيَ لها!

نظر له «أحمد» لحظة، فقال «كريج»: هل تأكدت؟!

أجاب «أحمد»: نعم؛ فقد كانت هناك معركة سريعة!

لمَعت عينَا «كريج» في دهشة، فقال «أحمد»: أرجو ألَّا تتوقعَ دائمًا شيئًا آخر!

همس «كريج» بنفس دهشته: إنه لا يبدو أنك تشاجرت!

ضحك «أحمد» ضحكة صغيرة، ثم قال: هذه دائمًا نتائجنا!

فجأة؛ وقف «جلاكس»، وكانت عينَا «أحمد» في اتجاهه، فهمس: إنهم ينصرفون الآن، وأظن أننا مقبلان على معركة جديدة!

عندما غادر «كريج» ملهى «باليرا»، كانت الساعة تُعلن الثانية صباحًا، كانت الشوارع هادئة، وكان الهدوء نفسه يعطي معانيَ كثيرةً. فهو يُوحي بالغموض، والمفاجأة؛ ولذلك فقد كانَا يسيران على مهل، وفي حذر. ورغم أنهما كانَا يقطعان الصمت ببعض الكلمات، إلا أن وقْعَ أقدامهما على الأسفلت كان يعطي مزيدًا من الوحشة. وحتى رَكِبَا سيارة «توماس كريج» لم يكن شيء قد حدث. ظل الصمت والغموض والوحشة. لم يُسرع «كريج» وهو يقود السيارة؛ فقد كان ينتظر حدوثَ شيء ما. ظلَّت السيارة تمشي متمهلة، حتى ابتعدَت عن ملهى «باليرا». قال «كريج»: هل تظن أنهم سوف يبدءون هجومًا ما؟!

ردَّ «أحمد»: إن ذلك لا يشغلني الآن، إن ما يشغلني شيء آخر!

تساءل «كريج»: وما هو؟!

قال «أحمد»: إننا انكشفنا أمامهم، فهم يعرفونك، ويعرفونني الآن!

صمت «كريج» وإن كان قد قال بعد لحظة: هذا صحيح، وهذه مسألة خطيرة!

مرَّت لحظاتٌ صامتة، ثم قال «أحمد»: أظن أنهم لن يفعلوا شيئًا الآن.

ثم أضاف بعد قليل: ما لم تكن السيارة معرَّضة لحادث من أي نوع!

امتلأ وجهُ «كريج» بالاهتمام، وقال: ماذا تعني؟! هل تعني أنهم سوف يهاجمون السيارة؟!

قال «أحمد»: لا أعتقد ذلك، لكن ربما تظهر سيارة أخرى، وتدهمنا!

انتظر لحظة ثم قال: أو تكون السيارة نفسها قد تعرَّضَت لعملية ما!

ابتسم «كريج» وهو يقول: لا أظن ذلك؛ فالسيارة مجهزة تمامًا، ولا يستطيع الصدام معها إلا بدبابة مثلًا! فجأة، لمعَت لمبة حمراء في تابلوه السيارة، فظهر الانزعاج على وجه «كريج»، وقال: يبدو أن عندك حقًّا، وأن توقعك كان سليمًا!

ثم أضاف بسرعة: يجب أن نغادر السيارة بسرعة؛ فهذه العلامة تعني أن هناك خللًا ما فيها!

أوقف «كريج» السيارة، فاختفَت اللمبة الحمراء. قال: هذا لغز، لقد انطفأت اللمبة!

قال «أحمد»: يبدو أنها تعمل مع تحرُّك السيارة!

تقدَّم «كريج» بها، فأضاءَت اللمبة مرة أخرى. فقال بسرعة: إذن علينا أن نغادرها وهي سائرة لنرى ماذا هناك!

وبينما السيارة تمشي متمهلة، قفز «أحمد» و«كريج» في وقت واحد، ولم تمضِ دقائق، حتى انفجرَت السيارة، واشتعلَت فيها النيران، محدثةً دويًّا هائلًا. قال «أحمد»: يجب أن نختفيَ بسرعة!

وفي أقرب شارع جانبي، اندفعَا فيه، وتركَا السيارة تلتهمها النيران. ومن خلال الضوء الخافت أسرعَا بسرعة، وهما يلتصقان بجدران المباني. وعندما ابتعدَا بمسافة كافية ...

قال «أحمد»: يجب أن تغيِّر مكانك الليلة!

قال «كريج» متسائلًا: وأنت؟!

ردَّ «أحمد»: أعتقد أنني في أمان في فندق «أوستريا»، فهو في النهاية فندق!

قال «كريج»: مَن يدري؟ قد يكون أحدهم في انتظارك!

ابتسم «أحمد» وهو يقول: لا بأس، فسوف أعرف كيف أتعامل معهم ...!

ثم أضاف بسرعة: سأتصل بك عندما أَصِل إلى هناك، وسوف يكون الاتصال على الموجة «ص» ١١.

وافترقَا بسرعة. استقل «أحمد» تاكسيًا إلى فندق «أوستريا»، وعندما دخل مسحَت عيناه المكان بسرعة. ثم أخذ طريقَه إلى غرفته. عندما وصل إلى الغرفة رقم «٨» لم يدخل مباشرة. فقد أخرج جهازًا صغيرًا معلَّقًا في سلسلة مفاتيح، وضغط زرًّا فيه، ووجَّهَه للباب لم يُصدر الجهازُ أيَّ صوت، فعرف أنه ليست هناك خدعة جديدة. فتح الباب ودخل. وقف في منتصف الغرفة يفكر قليلًا. قال في نفسه: إن الموقف يحتاج لتصرف جديد.

بسرعة خلع ثيابه، ثم وضع جهاز إنذار دقيق على باب الغرفة، يمكن أن يكشف مَن يريد دخولها. ثم قال لنفسه: أما النافذة والبلكونة، فإن أحدًا لم يستطع الدخول منهما. أما الباب فيمكن عن طريق المفتاح الرئيسي للفندق، ثم استغرق في التفكير. قال لنفسه: الآن اكتشفَت العصابة وجودي، وذلك عن طريق «جلاكس»، لكن ماذا يعرفون عني؟ توقف لحظة، ثم أجاب على تساؤله: لا بد أن ذلك تم عن طريق «مروان» بالتأكيد، قد تحدَّث إلى «شداد»، وسجَّلَت العصابة حديثهما. تنفَّس بعمق ثم قال لنفسه: لا بأس، غدًا سوف نرى!

تمدَّد على السرير، ثم غَرِق في النوم ... إن لحظاتِ الخطر لا تجعل «أحمد» يفقد قدرتَه على النوم؛ فما دام قد اطمأنَّ بتأمين المكان، فإنه لا يخشى شيئًا، ولهذا نام سريعًا. لكن حتى في حالة النوم، فإنه يمكن أن يستيقظ في أية لحظة ... ومرت الليلة.

وفي الصباح، كان يستيقظ نشيطًا جدًّا. جلس لحظة على السرير، ثم فكر، وظهرَت الدهشة على وجهه، لقد نسيَ أن يتصل بالسيد «توماس كريج»! بسرعة، أخرج جهاز الإرسال، ثم ضبط الموجة على «ص» وتحدَّث إليه. قال «أحمد»: أعتذر بشدة؛ فقد كانت أحداث الأمس مزعجة تمامًا!

جاء صوت «كريج» متعبًا: لقد نمتُ نومًا قلقًا، لأنك لم تتصل بي!

ظهرَت علامات الأسف على وجه «أحمد» وهو يقول: إنني أكرر اعتذاري!

قال «كريج»: لا بأس، وماذا في خطتك اليوم؟!

قال «أحمد»: إنني ما زلت لم أُفِق بعدُ من النوم. لكن بعد نصف ساعة سوف أتصل بك.

أسرع «أحمد» بإجراء بعض التمارين الرياضية، ثم أخذ دشًّا دافئًا، فشعر أنه قادر على التفكير الآن! لكن فجأة، أعطى جهاز الاستقبال إشارة. نظر له لحظة وفكر: هل تكون رسالة من رقم «صفر»؟! أسرع إلى الجهاز فجاءه صوت «كريج»: لقد تمت المفاجأة التي كنت أُعدُّ لها والتي لم أخبرك بها!

سأل «أحمد» بسرعة: وما هي؟!

قال «كريج»: استمع لهذا العنوان، وأنتظرك فيه بعد ساعة!

ردَّ «أحمد»: لا بأس، وإن كنت قد دفعَتني إلى التفكير في احتمالات متعددة!

جاء صوت «كريج» يضحك: لا بأس، ومع ذلك لا داعي لأن تُشغل بالك. إنها مفاجأة رائعة سوف تكشف لنا كلَّ شيء!

صمت لحظة ثم أضاف: أرجو ألَّا تُقدمَ على شيء حتى نلتقيَ!

أجاب «أحمد»: لا بأس، أعطني العنوان!

أعطاه «كريج» العنوان، وحدَّد موعد اللقاء مرة أخرى. ولم ينسَ أن يؤكد: أرجو ألَّا تُقدمَ على شيء حتى نلتقيَ!

عندما انتهى حديثُهما، جلس «أحمد» شاردًا. كان يفكر في المفاجأة التي أعدَّها «كريج» والتي تكشف سرَّ الفيلَّا الغامضة. لكنه قال لنفسه: لا بأس، لا داعي للتفكير الآن، ويجب أن أستعدَّ.

وقف ينظر حوله، ثم فكَّر: الآن قد أصبحتُ معروفًا للعصابة، ويجب أن أجد طريقة حتى لا يعرفني أحد. أسرع إلى حقيبته السرية، وأخرج أدوات الماكياج، ثم وقف أمام المرآة وأخذ يرسم خطوطًا، ويضع ألوانًا على وجهه. حتى تحوَّل إلى رجل في الخمسين. نظر إلى وجهه مبتسمًا، ثم قال لنفسه: الآن، أتحدَّى العصابة إن عرفَت مَن أنا!

ثم بسرعة ارتدى ثيابه، وخلع جهاز الإنذار من على باب الغرفة، ثم خرج. وبهدوء نزل إلى المطعم، وطلب إفطارًا. لم يكن منظرُه يلفت نظرَ أحد. عندما انتهى من تناول الإفطار دفع فاتورة الحساب وكأنه فردٌ عادي وليس نزيلًا في الفندق. وحتى عندما خرج إلى الشارع لم يتجه إلى السيارة فقد استقل تاكسيًا. وعندما فتح باب التاكسي أخفى ابتسامة، فقد شاهد رجلَين يقفان قريبًا من الفندق، وقد انهمكَا في الحديث. قال لنفسه: إنهما من العصابة، لكن أحدًا لا يستطيع التعرف عليَّ.

حدَّد الشارع للسائق. وعندما وصل قريبًا من العنوان غادر التاكسي. نظر في ساعة يده، فعرف أنه لا تزال هناك ربع ساعة على الموعد. أخذ يتنقَّل بين واجهات المحلات يشاهد المعروضات، حتى جاء الموعد تمامًا. وفي هدوء، دخل المحل الذي حدده العنوان. كان محلًّا لبيع الملابس الجاهزة. ألقى نظرة على المحل، فاقترب منه أحدُ الباعة يسأله عن طلبه. فجأة، جاء صوتُ «كريج» يقول: عندي ما تبحث عنه!

ثم اصطحبه إلى داخل المحل، ثم مرَّا بين مجموعة من الملابس المعلَّقة إلى طرقة طويلة، في نهايتها فُتح باب، ودخل «كريج» وخلفه «أحمد» الذي وجد نفسه في غرفة مكتب ... كانت هناك لوحة لمنظر طبيعي تمتدُّ من السقف إلى الأرض. لفتَت نظرَ «أحمد»، فقال «كريج» ضاحكًا: إنها ليست لوحة بالمعنى المفهوم، إنها تفتح على محل آخر، واجهته من الناحية الأخرى!

ثم أضاف: ليس هذا هو المهم.

ثم ضحك مرة أخرى، وقال: لقد أجدتَ وضْعَ الماكياج، لكني اكتشفتُكَ من طول قامتك!

ابتسم «أحمد»، فقال «كريج»: استمع إلى المفاجأة.

صمت لحظة، كان «أحمد» قد ركز انتباهه ليعرف. قال «كريج»: الليلة ... سوف يَصِل إليَّ طباخ الفيلَّا الغامضة!

اتسعَت عينَا «أحمد» دهشةً، وقال: كيف؟!

قال «كريج» سعيدًا: منذ شهور ونحن نحاول أن نجده ليعمل معنا، وفي النهاية، تم الاتفاق أمس!

سأل «أحمد»: كيف؟!

أجاب «كريج»: هذه ليست مسألة صعبة؛ فالنقود تفعل الكثير!

ثم أضاف: ليست هذه هي القضية، ولكن القضية هي مَن يدخل مكانه!

سأل «أحمد» بسرعة: ماذا تعني؟!

قال «كريج»: سوف يختفي «مونتي» وهو زنجي، أقصد الطباخ. وعلينا عن طريق الماكياج أن نضع مكانه «مونتي» آخر!

ردَّ «أحمد» بسرعة: هذه ليست مسألة صعبة، وسوف نحققها حالًا، والليلة أيضًا!

فكر لحظة: أن «عثمان» يمكن أن يقوم بالمهمة، ويجب أن يَصِل فورًا. فحتى يدخل الفيلا، سوف يستطيع كشفَ التفاصيل، وبسرعة أخرج جهاز الإرسال وأرسل رسالة شفرية إلى رقم «صفر»، يطلب فيها حضورَ مجموعة من الشياطين من بينهم «عثمان»، فهذه هل الخطوة القادمة لتنفيذِ المهمةِ كلِّها. وكانت هذه هي المغامرة القادمة؛ «سرقة العقول العربية».

هنـــداوي